

يوم الفراق

قصة قصيرة



الكاتبة اسراء سويلم

الإهداء

الى قلبي في تلك الأيام العصيبة
اكتب على امل ان تعود للحياة،
وتحاول مرة أخرى

والى فقيدي وفقيد هذه الدنيا
اليك اكتب
والى كل من يريد القراءة

المقدمة

لكل منا قصةٍ ما أزاحت بمجرى حياته القديمة
واستبدلتها بأخرى اما ان تكون تلك الأخرى
قصة نجاح أو ندم
قصة كفاح او ركود
قصة فقدان عزيز او كسب سند
قصة ألم أو جبر من الله ولطف
أيا كانت فهي قصتك انت وانت من تعيشها وقد
نكون نحن أيضا نتشابه في قصصنا ونعيشها مثلك
لذا دعنا نشارك قصصنا جميعا لعل أحدا يجد
قصته في قصة أخرى
يجد كلمات عجز عن قولها مكتوبة في قصة احدا

الساعة التاسعة مساء

الثلاثاء 2023-7-19

توقف قلبه قال ابي والدموع في عينه..

توقفتُ عن الحراك وكأني تجمدت

مازلت في صدمتي ..

لم أفق بعد ولا اصدق

الى ان رايته في الكفن!...

نعم انه هو، ولكنه بشكل ما وبآخر مختلف

اقتربت وناديت عليه: علي

لم يرد، لأول مرة اناديه ولا يُلبيني

اقتربت وقلت له: كفاك تمثيل يا علي اعلم أنك لست

نائم لألمس يده واجدها باردة

باردة جدا!

ليست بدفء قلب اخي، حاولت تحريكها، ولكنها لا

تتحرك كأنها قطعة ثلج مجمدة

صرخت وانا ابكي: علي...

وصرخت بكل اه وانا أقول لمن حولي: انه ليس
اخي؛ انه بارد وأخي لطالما كان دافئ!

الجميع ينظر لي ويبكون وهو نائم للأبد
وجهه ابيض مبتسم كأنه سعيد برحيله!

مازلت ابكي وانظر للجميع واتوسل لابي بان ينقذه،
ولكنهم يقولون لي انه مات!...

صرخت من اعماق قلبي ماذا يقولون هؤلاء هل فقد
كل العالم عقولهم اليوم؟!

قولت وانا اشهق: لا لم يمتم

اسرعت اليه و وضعت يدي على وجهه البارد
وبكيت

وبنبرة هادئة قلت: انت لن ترحل انت عاهدتني بذلك
عاهدتني لن تتركني لوحدني وتذهب، وانا اطالب
بحقي؛ فعهد الله حق

والدموع تنهمر كأنها مطر، شعرت ان السماء تمطر
وكأنها تشاركني نحبي وحزني

حاول ابي ابعادي عنه، ولكنه لم يفلح

علي :انا قمت بعمل الشاي بالنعنع المفضل لك،
ارجوك انهض، ان قلبي الكثير من الكلام اريد ان
نتكلم ونسهر كعادتنا

انهض ارجوك اعلم أنك هنا الان، انت وعدتني أنك
لن تتركني وترحل، أقبل يداك انهض يا اخي،
الشاي سيبرد..

اقتربت اختي وقالت يكفي يا اسراء إنك تعذبيه
،حرام عليكِ

نظرت لها، ولكن بكل قوة وكأن نظراتي سلاح
ودموعي بارودي في وَسَط النار في عيني
وقلت: اعذبه؟!، لا هو فقط نائم انه متعب من ألم
الكيماوي لذلك لا يشعر بي، انا سأتركه ينام قليلا
ويستيقظ ويكون بخير، وبتحدث
نظرت له وقلبي يبكي من كثرة العجز وكأنني
اصدق ما أرى ولا اصدق..

نمت بحضنه للمرة الاخيرة ،وقبلته قبلت الوداع
الاخير وانا ابكي مستنكرة، لا اصدق ما يجري
هل حقا ذهب وتركني؟! !

وها هم الان اخوتي وابي وجميع من حولي من اهل
واصدقاء واقارب وجيران يحاولون ابعادي عنه وانا
متشبثة به بكل قوة

قلت له انني لن اتركه طوال ما بي انفاس تدخل
وتخرج

صرخت: لا تأخذوه ارجوكم انا لا اقوى على العيش
دونه، وفقدت الوعي، وكأن عقلي رفض الواقع،
فقط اريد ان اكون بحضن اخي، ان يكون هذا فقط
واقعي..، فلن يتركني اخي ابدا انا اعلم، إذا تركني
العالم كله لن يتركني هو انا اثق بذلك.

مضى اليوم بصعوبة مضت الساعات المشؤومة
ببطء كبير، وكان عقارب الوقت توقفت عن
الحراك

شعرت انه اطول يوم في حياتي كلها
شعرت انه عن كل السنين التي مضت وستمضي،
ولكنه لا يحتوي سوى على الالم القاتل
اخيرا أتى الليل، الوحيد الذي يحتويني، لا اعلم كيف
نمت بقيت متمسكة برسمة اخي وضعتها تحت
راسي وبكيت، بكيت كأنني لم ابك من قبل

بقيت اقول لم يراها لم يستطيع ان يرى ابداعى في
رسم ملامحه الجميلة

لم ذهب دون ان تودعني؟!!

لا اعلم كيف غفوت بعد كل هذا البكاء والنحيب

استيقظت لأراه امامي يبتسم!..

انت هنا لم تذهب ،كنت اعلم ونهضت بسرعة
واحتضنته، ولكنه كان سراب كان خيال كان ألم كان
كل شيء إلا علي

وما وجدتنى إلا اصرخ واضرب المرأة بيدي
فتتلف، ولكن هذا النزيف لم يكن مؤلم فروحي لم
تعد هنا! تركتها على جبين اخي في قبلى الاخيرة
له.

عدت لأبكي وحدي وسط العتمة التي اكاد لا ارى
نفسى منها ولربما انا لست هنا انا رحلت معه..

انا متت عندما مات

وكننت اقول له ذلك عندما كان يقول لي اننى لا
يجب ان اتعلق به هكذا فهو غير دائم لي

"لا تقول هذا سأدفن نفسي قبلك وان حصل يوم
وفكرت بالذهاب سأذهب معك، سأموت معك لن
اقوى على العيش بدونك انا لا أستطيع وانت تعلم
ذلك لن اسامحك ان ذهبت وتركتني..."

في اليوم التالي من العزاء كان يوم طويل ايضا،
ولكن ما خفف عني وجود صديقتي التي لطالما
احببتها كثيرا وكنت أحدث علي عنها واشعر انه
سعيد ومرتاح؛ لان هناك أحد يحبني ويحتويني مثله
هي الان امامي لم تتطق، وانا صامته تماما اقتربت
منها وضممتني لصدرها، شعرت انني لم احتاج أحد
مثلما احتجتها، حتى انني لم أبك، بل شعرت انني
استمد قوتي منها، شعرت انني هادئة ذلك الهدوء ما
قبل العاصفة

بقيت في حضنها اتهد فمدامعي نفذت منها الدموع
واعلنت جفاف بحرها

حان وقت رحيلها هذا ما كنت اقصده بهدوء ما قبل
العاصفة؛ لقد انتفضت مذعورة تمسكت بها بكل قوة
وقلت لن تتركيني وتذهبي ارجوك وبدأت اتوسل لها
بان تبقى بجانبني وهي تقول ان هذا غير ممكن وانها

ستعود ولكن عقلي لا يستوعب ذلك انه خائف، منذ
قليل تجرعت ألم فقدان

للحظة شعرت انني سأفقدھا هي ايضا، تشبثت بها
ونظرت لجهاز الاكسيجين الخاص بأخي وبكيت،
بكيت رغم جفاف مدامعي، وارتميت في حضنها،
غرست راسي في حضنها كما تُغرس الاشجار،
ثبتت راسي كما تثبت جذور أشجار الزيتون في
فلسطين، وهي تحاول التخفيف عني واقناعي
بذهابها وعودتها لاحقا..

ودعتها رغماً عني

لقد ذهبت..

شعرت انني يتيمة!

اليوم لقد دفنت الشخص الوحيد الذي يحبني والذي
كان سيحبني لأعوام ولأخر عمري

لقد مات!

كيف يتقبل العقل البشري تحويل الشخص من يكون
الى كان بهذه السهولة لمجرد اختفائه او موته؟!!

غريب أمره هذا الموت، يأتي لشخص كان يتنفس
ويضحك مع اهله منذ لحظات وعندما اخذ روحه
يشعر اهله انه "امانة" ..
يتحول اسمه من اسمه لـ "جثة" وكأنه ليس هو ..
يتم غسله ودفنه في التراب كأنه لم يكن ابدا ويتحول
حتى لغوياً، يكون "كان" ... فقط كان ماضٍ وانتهى
ولن يعود ابداً، ابداً.

انتهى كل شيء، اخي في التراب الان ولن اراه
مجدداً، لن المسه او اسمع صوته، لن ينهرني مجدداً
عندما اخطأ في حقه، ولن يوقظني في الصباح وهو
يقول انهضي ايتها الكسولة
لن يضمني حين ابكي، وسيبقى الشاي بارد لن يأتي
لنشربه ونتحدث طوال الليل ونضحك ونزعج أمي،
لن يغطيني ويطمئن أنى بخير في ليالي الشتاء
القارص، ولن يحضر الدواء لي لمجرد رؤيته
المطر؛ فهو يعلم مدى حبي للمطر وانني اتمشى
دائماً واتبلل الى ان امرض

هل انتهى اخي؟!
هل الموت مؤلم لهذه الدرجة؟!!

اتصلت صديقتي فانا لم أكلمها منذ ايام والبارحة
كنت في المستشفى بسبب عنادي وعدم قدرتي على
الطعام فانا كلما اقتربت منه اشعر بالغثيان واريد
التقيؤ، انه القولون العصبي وهذا حقه بعد كل هذا
السوء الذي مررت به

الاء: كيف حالك؟

الكثير من الاسئلة لكنني فقدت القدرة على الكلام
وعلى السماع وعلى النظر لقد فقدت القدرة على
الشعور لأصرخ فجأة وابكي لقد ذهب لن اراه
مجددا يا الاء، لقد ذهب وتركني
تتهدت وقالت ارجوك لا تبكي هو لا يحب ان تبكي
تذكري هذا، ومن قال انه رحل ألم تقولي انه بداخلك
يعيش دائما؟!!

لطالما حدثتني عن حبك الشديد له

لأقول لك يا حبيبي: اقوى حب هو الحب رغم
الغياب، ان تحبي احد وهو غير موجود، لا
تستطيعين رؤيته لكن تشعرين به دائما، تشعرين انه
حولك وبجانبك كما كان دائما وهو الان بجانبك،
انت تعتقد انه ليس معك لا يمسك يداك، ولكنه في
الواقع هو للمرة الاولى معك وسيبقى معك ويحميك
من كل شر وهو في عالم الحق وجميعنا سنذهب
هناك مهما طال الوقت سنذهب لنبقى مع بعضنا
للابد، انها فلسفة الموت الغريبة، ولكنني دائما اراها
انها البداية لا النهاية، نعم انها بداية الابد.

اغلق الهاتف بعد ان اقتنعت بكذبة انني على ما يرام
لم يجعلني كلامها اشعر بتحسن ولم يخفف ذلك الألم
بقلبي، ولكنه جعلني اشعر بالسلام، بتقبل الموت
بسوئه.

أبدو كالتمثال الفاقد للروح، اتحرك وأتكلم، ولكنني
بداخلي واقفة بجانب جثمان اخي لحظة نكراني
موته!

انجزت كل شيء انتهيت من كل شيء الا ذلك الألم
الذي سيبقى بداخلي للابد، ألم الفقدان هو ما يبقى

مهـما طـال الـوقـت لا يـخـتـفـي الـأـلم اـبـدا وـلـكـنـنا فـقـط نـعـتـاد
وـجـودـه بـمـرور الـوقـت،
نـعـتـاد عـلى حـقـيـقـة انـنا لـسـنا بـخـير
ولـن نـكـون اـبـدا ..
فـقـط نـعـتـاد!